

البلاغة السامية مدخلا للكشف عن وحدة السورة القرآنية دراسة وصفية تطبيقية لجهد ميشيل كويرس

محمد يسلم المجدود

مقدمة:

يعتبر إشكال وحدة السورة القرآنية وتماسك بنيتها، واحداً من أبرز الإشكالات النظرية التي تُطرح في حقل الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم، وقد سبق للدراسات الإسلامية التراثية أن انشغلت بسؤال وحدة السورة القرآنية وتماسك بنائها من مداخل مختلفة كالبحث في إعجاز نظم القرآن وخصائصه الأسلوبية، وفي المناسبة بين الآيات والسور، إلى غير ذلك.

وتعد مقارنة بنية القرآن الكريم من منظور البلاغة السامية من أحدث المقاربات الغربية التي تعنى بدراسة بنية القرآن الكريم المادية دراسة تزامنية (Synchronic Approach)، وتسعى إلى فهم أساليبه البلاغية، والتركيبية المختلفة، في الحقبة التاريخية التي نزل فيها.

وقد استخدمت مقارنة البلاغة السامية أول الأمر في دراسة بنية نصوص التوراة والإنجيل، وتالياً في دراسة نصوص من الحديث النبوي الشريف.

Received 20 Mar 2019; accepted: 3 Apr 2019; published September 2020

© 2020 The Author(s), HBKU College of Islamic Studies.

Cite this article as: El Moujawad, M. (2020). البلاغة السامية مدخلا للكشف عن وحدة السورة القرآنية.

Astrolabe: A CIS Student Research Journal

<https://www.hbku.edu.qa/sites/default/files/structurequranmichelquiers.pdf>

ومنذ نهاية القرن الماضي عمد الباحث البلجيكي ميشيل كويبرس إلى توظيف البلاغة السامية في مقارنة نص القرآن الكريم وبنيته التركيبية.

وتتجلى أهمية هذا البحث في كونه يعرف بمقاربة بنية السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية عند كويبرس على المستويين النظري والتطبيقي، ويفتح باب التفاعل مع طروحات ونتائج هذه المقاربة، وما يمكن أن تسهم به في تدبر بنية السورة القرآنية، وفي الكشف عن مظاهر تماسكها وانسجامها.

إشكالية البحث:

المشكلة التي يدرسها هذا البحث هي: ما البلاغة البلاغة السامية؟ وما أهميتها في الكشف عن وحدة وتماسك السورة القرآنية، وفي دحض الفرضيات الخاطئة بشأنها؟ وما الخطوات العملية في تطبيقها على القرآن الكريم.

أهداف البحث:

1. وضع مقارنة السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية في سياقها الإسلامي والغربي.
2. التعريف النظري بمقاربة السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية.
3. تقديم نموذج تطبيقي يكشف خطوات ومراحل العمل في دراسة السورة القرآنية من منظور هذه المقاربة.

حدود البحث:

يقتصر البحث على الوصف النظري والتطبيقي لمقاربة السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية عند ميشيل كويبرس ولا يتعرض للمآخذ والملاحظات النقدية على هذه المقاربة.

منهج البحث:

المنهج الذي سيتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي الذي ينطلق من عرض الخطوات النظرية والمنهجية التي تقوم عليها مقارنة السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى تمهيد يقدم خلفية تاريخية لتطور البحث في بنية السورة القرآنية، إضافة إلى ثلاثة مباحث وخاتمة؛ يتناول أولها مفهوم البلاغة السامية وأهميتها في الكشف عن وحدة السورة القرآنية وتماسك بنيتها، أما ثانيها فيعرض الأسس المنهجية لمقاربة وحدة السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية، في حين يقدم ثالثها نموذجاً تطبيقياً للبلاغة السامية في دراسة بنية السورة القرآنية، أما الخاتمة فنلخص فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: بنية القرآن الكريم، البلاغة السامية، التحليل البلاغي، ميشيل كويبرس

تمهيد: بنية القرآن الكريم: خلفية تاريخية

نزل القرآن الكريم بلغة عربية أدهشت بجمالها وروعة بيانها قلوب المتلقين الأول، واختلفت عن أساليب البلاغة والتعبير التي كانوا يألفونها؛ فليست هي لغة الشعر الذي ألفوه، ولا السجع الذي عهدوه، وقد نقلت لنا كتب السيرة والتاريخ مشاهد متعددة من إجلال المشركين قبل المسلمين لروعة بلاغة القرآن الكريم¹. ولم يصل إلينا من خلال كتب التاريخ، وعلوم القرآن، أن أحداً من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم قد استشكل بنية القرآن الكريم وطرائق التعبير التي يستخدمها، بيد أنه لم يكد المسلمون يختلطون بغيرهم من الشعوب إبان الفتوحات الإسلامية، حتى بدت بعض الأسئلة تثار من الطاعين في القرآن، وكان من ضمنها أسئلة تتعلق ببنية القرآن المادية، وقد تصدى علماء المسلمين القدامى للرد عليها في مؤلفات نظم القرآن وإعجازه مثل: النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن الرماني (ت. 384هـ)، وبيان إعجاز القرآن للخطابي (ت. 388هـ) والرسالة الشافية للجرجاني (ت. 471هـ)²، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني أيضاً، وإعجاز القرآن للباقلاني (ت. 402هـ)³، وغيرها.

ولم يقتصر الأمر عند المتقدمين على مباحث الإعجاز وما ورد في أثنائها من إشارات إلى نظم القرآن وأساليبه، وطرائقه في التعبير، فأرأوا أن مسألة علاقة الآيات فيما بينها، وعلاقة السور بعضها ببعض، تحتاج إلى مزيد من النظر، ومن هنا بدأ البحث عن هذه العلاقات والصلات بين السور والآيات يتطور حتى أصبح فتناً مستقلاً عُرف بـ «علم المناسبة» أُفرد بالتصنيف وأُلفت تفسيرات تعتنى بتطبيقاته⁴.

وفي القرن العشرين، تعرض تفسير القرآن الكريم لضغوط فكرية أنتجت الحداثة وأخذ رد الفعل عليها أشكالا متعددة، وكان من أهم عوامل مواجهة هذا التحدي كما لاحظ مستنصر مير «وجود إدراك متزايد بين المسلمين في القرن العشرين بأن مهمة إعادة تأويل الإسلام يجب أن تبدأ بإعادة تأويل

1 من ذلك ما خلص إليه الوليد بن المغيرة- بعد موزانته للقرآن الكريم بالشعر والسجع واساليب الخطابة التي كانت معهودة زمن نزوله- عندما قال عن القرآن «والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة» ثم إن فصحاء العرب من المشركين كانوا يسترقون السمع لتلاوة القرآن الكريم ويندهشون من جماله وروعة بيانه، وما يمنهم من التصديق به إلا الاستكبار والتمسك بالتقاليد الدينية والاجتماعية والاقتصادية التي وجدوا عليها أسلافهم. ينظر ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا [وآخرون] ط4 (دمشق: دار ابن كثير 2017) ص 254 وص 281.

2 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق وتعليق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام (القاهرة: دار المعارف 1976).

3 أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر (القاهرة: دار المعارف، 1997).

4 من أبرز العلماء الذين اهتموا بعلم المناسبة قديماً: الإمام فخر الدين الرازي (ت. 606هـ) في تفسيره: مفاتيح الغيب، وابن الزبير الغرناطي (ت. 708هـ) في كتابه: البرهان في تناسب القرآن، وبدر الدين الزركشي (ت. 794هـ) في كتابه: البرهان في علوم القرآن، وبرهان الدين البقاعي (ت. 885هـ) في تفسيره: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

القرآن»⁵؛ بمعنى «أن يصبح النص القرآني هو صاحب الكلمة الفصل في تحديد المعنى في القرآن»⁶، وقد أدى هذا الأمر إلى تعليق أهمية كبيرة على السياق القرآني، وإضافةً إلى ذلك، فقد كان للسجل مع المستشرقين القائلين بأن نص القرآن مفكك ينتقد الوحدة والتماسك دورٌ في ظهور مقاربات إسلامية متعددة تسعى إلى الكشف عن دلائل وحدة السورة القرآنية والنص القرآني كله.

ومن أبرز هذه المحاولات تلك التي ظهرت في إطار ما يعرف بمنهج التفسير الموضوعي⁷، إذ استخدم القائمون عليه «المقاربة التحليلية - التركيبية»، حيث يقوم المفسر بتقسيم السورة، أولاً، إلى عدة أقسام، ثم يقوم بعد ذلك بتوضيح الروابط بين هذه الأقسام⁸.

وعلى الجانب الآخر، انتقد كثير من المستشرقين القدامى بنية القرآن وأسلوبه، ونظمه؛ فقد وصمه فولتير بأنه «يفتقد الترابط والترتيب» وقال توماس كاريل إنه «غامض ومليء بالتكرار الذي لا نهاية له»⁹، وذهب تيودور نولدكه إلى أن القرآن «غير متناسب الأجزاء» كما وصف أسلوبه بأنه «نشاز»¹⁰.

وإذا كان موقف الاستشراق القديم من بنية السورة القرآنية والنص القرآني عموماً قد قام في مجمله على القول بتفككها وعدم انسجامها والسعي إلى إعادة ترتيبها، فإن هذا الموقف قد تطور منذ ثمانينيات القرن الماضي؛ إذ بدأ بعض الباحثين الغربيين يهتمون بدراسة بنية القرآن المادية دراسة أدبية تزامنية، أرادوا من خلالها أن يفهموا طرائق القرآن في التعبير وأساليبه في التركيب، مستعينين في ذلك ببعض المنهجيات الأدبية، والبلاغية، التي طُبقت من قبل على العهدين القديم والجديد، وإلى ما وصلت إليه مدارس النقد الأدبي واللسانيات النصية، من الاحتفاء بدراسة بنية الأعمال الأدبية في شكلها المادي.

يحاول أصحاب «الاتجاه التزامني الغربي في الدراسات القرآنية» تجاوز الفرضيات التي انتهى إليها منهج النقد التاريخي في الدراسات القرآنية بشأن تفكك القرآن وعدم تماسك وانسجام بنيته المادية.

ومن بين الباحثين الغربيين الذين اشتغلوا بالدراسة التزامنية للقرآن الكريم: بيير كاربون دي كابرونا

5 مستنصر مير، السورة وحدة نصية تطور في تفسير القرآن في القرن العشرين، ترجمة حازم محي الدين، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2017/6/28، ص 13، شوهد في 2020/1/1، في: <http://bit.ly/2ZHHa1C>

6 المرجع نفسه، ص 14.

7 التفسير الموضوعي هو «دراسة موضوع من خلال القرآن الكريم وذلك بجمع الآيات المتعلقة به لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية»، انظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي (دمشق: دار القلم، 2000)، ص 27.

8 مستنصر مير، السورة وحدة نصية تطور في تفسير القرآن في القرن العشرين مصدر سابق ص 18.

9 Raymond Farrin, *Structure and Quranic Interpretation: A Study of Symmetry and Coherence in Islam's Holy Text* (Ashland, OR: White Cloud Press, 2014), p. xiii.

10 تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، تعديل فريديريش شفالي، ترجمة جورج تامر (بيروت: مؤسسة كونراد أدنارو، 2004)، ص 443-444.

(Neal) و أنجليكا نويفرث (Angelika Neuwirth)¹²، ونيل ربنسون (Neal Robinson)¹³، وماتياس زاهنيير (Mathias Zahniser)¹⁴.

وفي تطور لافت لهذا الاتجاه، الذي كان يقتصر على دراسة بنية السورة القرآنية، درس ريموند فارين (Raymond Farrin) بنية القرآن كله، انطلاقًا من مبدأ التناظر الذي يحكم نظام السورة القرآنية من ناحية، وعلاقة سور القرآن كلها بعضها ببعض من ناحية أخرى، ويبيّن أن القرآن كله يقوم على «بنية متحدة المركز» وأن سور القرآن، القصيرة والطويلة والمتوسطة، تقوم على «مبدأ النظم الدائري» ثم أوضح كيف تكون السورة القرآنية أزواجًا موضوعية، ثم كيف تشكل كل مجموعة من سور القرآن موضوعًا مستقلًا، وتوصّل إلى اقتراح نظام للقرآن يتكون من تسع مجموعات، منتظمة فيما بينها¹⁵.

وفي هذا السياق الجديد في الدراسة التزامنية الغربية للقرآن الكريم، تأتي مساهمة ميشيل كويرس في دراسة بنية القرآن الكريم، حيث أصدر ثلاثة كتب في التحليل البلاغي لنظم القرآن الكريم وبنيتها من منظور البلاغة السامية، فمن هو ميشيل كويرس؟ وما البلاغة السامية؟ وما أهميتها في دراسة وحدة السورة القرآنية؟ وما الأسس المنهجية التي تقوم عليها؟ وكيف نطبقها في دراسة السورة القرآنية؟

المبحث الأول: البلاغة السامية مفهومها ونشأتها وأهمية تطبيقها في القرآن الكريم

نتناول في هذا المبحث مفهوم البلاغة السامية، ونشأتها في الدراسات الكتابية، وأهداف نقلها من مقاربة النصوص الكتابية إلى مقاربة نص القرآن الكريم، وقبل ذلك كله نعرف بميشيل كويرس رائد تطبيق مقاربة البلاغة السامية على القرآن الكريم على النحو الآتي:

1- التعريف بميشيل كويرس

ولد ميشيل كويرس في عام 1941، بلجيكي الجنسية، حاصل على درجة الدكتوراه في الآداب الفارسية من جامعة طهران، تعلم اللغة العربية وتخصص في الدراسات القرآنية، حيث يعمل حاليًا باحثًا في معهد الآباء الدومينكان للدراسات الشرقية في القاهرة.

- 11 Pierre Crapon de Caprona, *Le Coran, aux sources de la parole oraculaire: Structures rythmiques des sourates mecquoises* (Paris: Publications Orientalistes de France, 1981).
- 12 Angelika Neuwirth, "Form and Structure of the Qur'an," in: *Encyclopedia of the Qur'an*, Jane McAuliffe (ed.) (Leiden: Brill, 2001–2007).
- 13 Neal Robinson, *Discovering the Qur'an: A Contemporary Approach to a Veiled Text* (London: SCM Press, 1996).
- 14 Matthias Zahniser, "Major Transitions and Thematic Borders in Two Long Sūras: Al-Baqara and al-Nisa'," in: Issa Boullata, *Literary Structures of Religious Meaning in the Qur'ān* (Richmond: Curzon Press, 2000), 22–55.
- 15 See, Raymond Farrin, *Structure and Quranic Interpretation: A Study of Symmetry and Coherence in Islam's Holy Text* (Ashland, OR: White Cloud Press, 2014).

تدور أغلب مؤلفات كويبرس حول تطبيق البلاغة السامية في دراسة نظم القرآن الكريم، وقد خصص لهذا الغرض ثلاثة من أهم كتبه أولها: في نظم سورة المائدة: نظم أي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، قدم كويبرس فيه تطبيقاً عملياً لمنهجية الكشف عن مظاهر وحدة السورة القرآنية وتماسك بنيتها من منظور طريقة البلاغة السامية المتبعة في الدراسات الكتابية¹⁶. ثانيها: في نظم القرآن، نشر باللغة الفرنسية في باريس في عام 2012، ثم ترجم الكتاب إلى العربية ونشرته دار المشرق في لبنان في عام 2018، خصص كويبرس هذا الكتاب لعرض القواعد المنهجية والإجرائية لدراسة وحدة السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية، وقدم فيه نماذج تطبيقية عديدة من القرآن الكريم، أراد أن يثبت من خلالها أهمية هذا المنهج وأثره في الكشف عن وحدة السورة القرآنية. ثالثها: *A Qur'anic Apocalypse: A Reading* (of the Thirty-three Last Surahs of the Qur'an)، جمع فيه كويبرس مع بعض التعديلات والإضافات، مقالات سبق أن نشرها حول السور الأخيرة من القرآن الكريم¹⁷.

2- مفهوم البلاغة السامية عند كويبرس

يؤكد ميشيل كويبرس، منذ البداية، أن التحليل البلاغي لبنية السورة القرآنية الذي سيقوم به قائمٌ على تطبيق لمبادئ البلاغة السامية على القرآن الكريم، وهي بلاغة تختلف عن البلاغة اليونانية التي انتهجتها الدراسات التراثية الإسلامية في مقارنة النص القرآني. فما البلاغة السامية؟ وما الفرق بينها وبين البلاغة اليونانية؟ وما أهميتها في مقارنة النص القرآني؟

البلاغة السامية:

البلاغة السامية مركب إضافي مثل البلاغة العربية يقصد به: أساليب التركيب المستخدمة في اللغات السامية¹⁸.

واللغات السامية هي: «لهجات سكان القسم الجنوبي من غرب آسيا من حدود الأرمن شمالاً إلى البحر العربي جنوباً، ومن خليج العجم شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً، وهي منسوبة إلى سام ابن نوح عليهما السلام، باعتبار أن المتكلمين بها هم في الجملة من نسله»¹⁹.

16 ميشيل كويبرس، في نظم سورة المائدة: نظم أي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي. ترجمة عمرو عبد العاطي صالح، ط 1 (بيروت: دار المشرق، 2016)، ص 7.

17 Michel Cuypers, *A Qur'anic Apocalypse: A Reading of the Thirty-three Last Surahs of the Qur'an*, Jerry Ryan (trans.) (Bristol, CT: Lockwood Press, 2018).

18 أول من أطلق على لغات الجنس السامي اسم «اللغات السامية» هو المستشرق الألماني شلوتزر (Schloetzer) في أبحاثه وتحقيقاته في تاريخ الأمم الغابرة سنة 1781 ب.م لأن معظم الشعوب والأمم التي تكلمت أو تتكلم هذه اللغات من أولاد سام ابن نوح، ينظر: ربحي كمال، المعجم الحديث عبري-عربي للمترجم وللطالب الجامعي ط2 (بيروت: دار العلم للملايين 1992) ص 5

19 الرفاعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، (القاهرة: مكتبة الإيمان 1997) ص 61.

واللغات السامية ترجع كلها إلى أصول ثلاثة هي: الآرامية والعبرانية، والعربية، وهي أمهات اللغات السامية المتبقية²⁰.

أما التعريف الاصطلاحي للبلاغة السامية عند كويبرس فيمكن استخلاصه من خلال استعراض أهم خصائصها وهي:

أولاً: تتجاوز البلاغة السامية مستوى دراسة الجملة، إلى دراسة البنية التركيبية العامة التي يتشكل منها النص، فهي بمنزلة القواعد النحوية لنظم النصوص، فإذا كان علم الصرف والإعراب يحكمان بناء الجملة فإن قواعد البلاغة السامية تدرس البنية التركيبية للنصوص السامية التي كانت متداولة في الشرق الأوسط القديم²¹.

ثانياً: تعنى البلاغة السامية بدراسة الأساليب التركيبية أو «صور النظم» كالمقابلة والتوازي وغيرها²².
ثالثاً: تختلف البلاغة السامية عن البلاغة اليونانية من جهتين: الأولى أنها لا تشغل بدراسة وسائل تحسين الكلام كالاستعارة، والتشبيه، والمجاز وغيرها، بل تدرس البنية التركيبية للنص والعلاقات بين أجزائه المختلفة ولذلك فهي أقرب إلى دراسة الترتيب (Disposition) في البلاغة الكلاسيكية، وأما الثانية: فإن دراسة الأساليب التركيبية في البلاغة السامية لا تسير على الأسلوب الخطي المستقيم (مقدمة، وعرض، وخاتمة) كما هو منطبق البلاغة اليونانية²³ بل تقوم على مبدأ التناظر²⁴.

3- البلاغة السامية من الدراسات الكتابية إلى الدراسات القرآنية

أ- نشأة البلاغة السامية

تعود نشأة التاريخية للبلاغة السامية إلى حقل الدراسات الكتابية، فقد أطلق على المقاربة التزامنية (Synchronic Approach) التي استُخدمت في النصوص العبرية على يد روبرت لوث (Robert Loth) في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي مصطلح «البلاغة العبرية» ثم بعد ذلك مصطلح البلاغة الكتابية، وبعد أن اكتشف المهتمون بهذه البلاغة، التي كان يظن أنها مختصة بالكتاب المقدس، أنها لا تقتصر فقط على النصوص الكتابية، بل تنطبق على النصوص السامية، أصبح يطلق عليها البلاغة السامية²⁵.

20 المرجع نفسه، ص 62.

21 كويبرس، في نظم سورة المائدة، مصدر سابق ص 411.

22 المرجع نفسه، ص 5.

23 كويبرس في نظم القرآن، ترجمة عدنان المقراني وطارق منزو. (بيروت: دار المشرق 2018) ص 21.

24 المرجع نفسه، ص 5 و 18.

25 انظر: رولان مينيه [وآخرون]، طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدس ومن الحديث النبوي الشريف، ترجمة جرجورة جردان وهنري عويس (بيروت: دار المشرق، 1993)، ص 298؛ وميشيل كويبرس، في نظم القرآن، ترجمة عدنان المقراني وطارق منزو (بيروت: دار المشرق 2018)، ص 16-17.

ويبدو أن مقارنة النصوص الكتابية من منظور البلاغة السامية قد نشأت لعوامل ثلاثة:
الأول: يتعلق بالرد على الاتجاه النقدي التاريخي للكتاب المقدس وتصحيح تجاوزاته²⁶، ذلك أن أصحاب هذا الاتجاه يصرّون على وصف بنية النصوص الكتابية بالغموض، والتناقض، وفقدان الوحدة والانسجام، ويعتقدون أن السبب في ذلك يعود إلى التطور التاريخي الذي مرت به هذه النصوص، وطريقة تحريرها وتجميعها العشوائية التي تركت أثرها في الانقطاع المتكرر، والتكرار، الذي يوجد في هذه النصوص²⁷.

أما الثاني: فهو السعي إلى فهم النصوص الكتابية من خلال العودة إلى بيئتها التي نشأت فيها²⁸، ذلك أن أصحاب هذه المقاربة قد انطلقوا من فرضية مفادها: أن النصوص السامية تتميز بنظام تركيبى خاص، يختلف عن النظام التركيبى في النصوص اليونانية، وأن ما يظهر في النصوص الكتابية بادئ الأمر من تعارض وعدم اتساق، لا يعود إلى العوامل التاريخية، والجمع العشوائى كما يزعم أصحاب الاتجاه النقدي التاريخي (التعاقبي) إنما يرجع أساسا إلى دراسة هذه النصوص بمنطق البلاغة اليونانية الغريب على نظم النصوص السامية وطرائقها في التركيب²⁹.

أما العامل الثالث: والأهم فهو تقدم اللسانيات إذ «ترتبط طريقة التحليل البلاغي للكتاب المقدس ارتباطا وثيقا بالأُسنية، بقدر ما تبحث في مادية النصوص لا تحتها، بل على سطحها، عن قوانين تنظيمها»³⁰. والواقع أن الارتباط بين منهج البلاغة السامية واللسانيات وبالأخص لسانيات النص وتحليل الخطاب، وثيق جدا رغم ادعاء كويرس أنه لا يعتمد على اللسانيات أساسا³¹، وإنما على الطريقة المتوارثة في تحليل النصوص الكتابية، ذلك أن منهج البلاغة السامية بدءا من المفهوم، وآلية الدرس المنهجية، وصولا إلى النتائج إنما يوظف أدوات لسانيات النص وتحليل الخطاب.

ب- مبررات نقل البلاغة السامية إلى مقارنة نص القرآن

لم يبدأ توظيف البلاغة السامية في مقارنة نظم القرآن الكريم وبنيته التركيبية، إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين على يد باحثين غربيين أبرزهم الباحث البلجيكي ميشيل كويرس، الذي بدأ أولا تطبيق هذه المقاربة على عدد من قصار السور المكية في القرآن الكريم، ثم انتقل تاليا إلى تطبيقها على السور المدنية الطويلة مطلع هذا القرن فدرس من خلالها بنية سورة المائدة في كتابه: في نظم سورة المائدة: نظم أي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي.

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن مقارنة وحدة النص القرآني وتماسك بنيته من منظور البلاغة السامية

26 المرجع نفسه ص 26.

27 قارن مع، اليسوعي رولان مينيه، التحليل البلاغي طريقة جديدة لإدراك معاني الكتاب المقدس، مجلة المشكاة، جامعة الزيتونة، تونس ع1، 2003ص4. وص 26.

28 رولان مينيه [آخرون]، طريقة التحليل البلاغي والتفسير، ص298.

29 المرجع نفسه ص298.

30 المرجع نفسه ص26.

31 كويرس، في نظم سورة المائدة، ص 23.

عند كويرس لما تتجاوز بعد مستوى السورة، أو السور القصيرة، أما توظيفها في الكشف عن البنية الكلية للقرآن الكريم فلا يزال -كما يقول كويرس- مطلباً بعيد المنال.

وقد اعتمد ميشيل كويرس في نقل مقارنة البلاغة السامية من دراسة النصوص الكتابية إلى دراسة البلاغة التركيبية في القرآن الكريم على القواعد والأسس المنهجية التي وضعها رولان مينييه في دراسة النصوص الكتابية في عدد من كتبه أبرزها: رسالة في البلاغة الكتابية (*Traité de rhétorique*)³².

ويستند كويرس في تبريره لنقل مقارنة البلاغة السامية من الدراسات الكتابية إلى مقارنة النص القرآني على جملة أسباب نظرية ومنهجية من أهمها:

1. اشتراك لغة القرآن مع لغة الكتاب المقدس في الجذر السامي

يبدو كويرس واعياً بما قد يثيره تطبيق قواعد البلاغة السامية في القرآن الكريم من توجس مؤسس على خصوصية النظم القرآني؛ ولذلك يبرر ملاءمة البلاغة السامية للتطبيق على القرآن الكريم بحجتين؛ تاريخية، ومنهجية: أما الحجة التاريخية فهي اشتراك لغة القرآن الكريم مع لغة الكتاب المقدس في الجذر السامي إذ هما من عائلة لغوية واحدة، ما يعني أنهما يشتركان في نفس الخصائص التي تحكم بنية الخطاب السامي³³.

وأما الحجة المنهجية فتتمثل في أن طريقة البلاغة السامية قد أثبتت نجاعتها عندما اعتمدت في دراسة بنية النصوص الكتابية التي واجهت الدارسين لها نفس المشكلة التي توجد في القرآن الكريم، «وهي أن بعض نصوص الكتاب المقدس تظهر وكأنها تتألف من مجموعة من المقاطع المستقلة نوعاً ما عن بعضها البعض»³⁴.

2. قصور الدراسات السابقة لبنية القرآن التركيبية

السبب الثاني لنقل مقارنة البلاغة السامية إلى القرآن الكريم هو حاجة القرآن نفسه لهذه المقاربة ذلك أن الجهود الإسلامية في دراسة وحدة النص القرآني والكشف عن مظاهر تماسكه، «من أبي بكر النيسابوري، والزركشي في العصور الوسطى، إلى أمين أحسن الإصلاح وسعيد حوى في العصر الحالي لم تستطع تقديم منهج متماسك في دراسة نظم القرآن الكريم وبنيتها»³⁵ والسبب في ذلك من -وجهة نظر كويرس- أمران:

الأول: هو التأثير المبكر لمنطق البلاغة اليوناني الخطي على دراسة بنية القرآن، وقد تجلى ذلك

32 كويرس، في نظم القرآن، ترجمة عدنان المقراني وطارق منزو. (بيروت: دار المشرق 2018) ص 21. ص 16.

33 كويرس، «نظرة جديدة إلى نظم القرآن»، ترجمة يوسف حبيب نقولا حبيب، بحث فُدم ضمن وقائع المؤتمر الدولي الثالث حول «العلوم الإسلامية والعربية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنة بين التراث والمعاصرة» المنعقد بكلية دار العلوم بجامعة المنيا بمصر، 3-4/6/2007، شوهدي في 2019/1/1، في: <http://bit.ly/2svyQJT> ص 5.

34 المرجع نفسه، ص 5.

35 كويرس في نظم سورة المائدة ص 11

في طريقة البحث في علم المناسبة عن علاقات الآيات بما قبلها، وما بعدها، دون التقدم إلى البحث عن المناسبة التي تنتظم الكلام من أوله إلى آخره، حتى يصير جملة واحدة.³⁶
 أما الثاني: فهو الاختصار على دراسة الجملة لا النظام كله، والتركيز على دراسة الصور البلاغية كالمجاز والاستعارة والتشبيه، بينما كان ينبغي أن ينصب الاهتمام على دراسة الصور التي تشكل البنية العامة للنص.³⁷

الاستثناء الوحيد في هذه الدراسات - كما يقول كويبرس - هو ما قام به كل من الشيخ سعيد حوى في كتابه: الأساس في التفسير، حيث قسم السورة إلى أقسام ومقاطع تحتوي على مجموعات نصية متعددة، حاول أن يبرز من خلالها وحدة وتناسق النص القرآني³⁸؛ وما توصل إليه أمين أحسن الإصلاحي من كون معظم السور القرآنية - إن لم يكن جميعها - تقوم على الثنائية والتقابل الموضوعي وتكون أزواجاً يكمل بعضها بعضاً، وأن القرآن كله ينقسم إلى سبع مجموعات كبيرة تدور كل مجموعة منها حول موضوع واحد³⁹، وهذه المحاولة تمثل كما يقول كويبرس «خطوة أولى نحو بلورة نظرية شاملة حول نظم القرآن على أساس مبدأ التناظر»⁴⁰.

ومع ذلك فإن الدراسة التي قام بها كل من سعيد حوى، وأمين الإصلاحي، هي بحسب كويبرس «دراسة بنائية لا تعتمد إلا على الروابط الموضوعية، أو المنطقية بين أجزاء النص، ما قد يعرض التفسير إلى خطر الذاتية من قبل المفسر»⁴¹، ولذلك فهي لا تصلح لأن تكون منهجاً في دراسة النظم القرآني. وإضافةً إلى ذلك، فقد ارتكبت مقاربات وحدة النص القرآني التي ظهرت في القرن العشرين - كما يقول كويبرس - خطأين منهجيين: الأول أنها اعتمدت في تقسيم نص السورة على الروابط الموضوعية أو المنطقية بين أجزاء النص، ولم تضع معايير نصية واضحة لتقسيم السورة، وهو الأمر الذي من شأنه أن يعرض تقسيم نص السورة لوجهة نظر المفسر المسبقة⁴². أما الخطأ الثاني، وهو نتيجة للخطأ الأول، فهو أنها لا تبدأ في تقسيم النص انطلاقاً من الوحدات الصغرى (المفردات ثم الجمل ثم التراكيب)، وهذا من شأنه أن يجعل المفسر يتجاوز بعض المعاني التي تُفهم من خلال السياق النصي القريب⁴³.

ومن هنا فإن الدراسة التي يقدمها كويبرس ستكون على الطرف النقيض لمعظم تفاسير القرآن القديمة والحديثة، التي تفسر آيات القرآن تفسيراً خطيئاً، من دون أن تأخذ في الاعتبار غالباً سياقها الأدبي،

36 كويبرس، في نظم القرآن ص 12

37 المرجع نفسه، ص 18

38 سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط 6 (القاهاة دار السلام 1424هـ) ص 30-32 وانظر أيضاً، كويبرس، في نظم سورة المائدة ص 4-5

39 Mustansir Mir, *Coherence on the Qur'an*, (Washington: American trust publication, 1986) p. 25-40
 وكويبرس، في نظم القرآن ص 26، وفي نظم سورة المائدة ص 404.

40 كويبرس، نظرة جديدة إلى نظم القرآن مصدر سابق ص 13-25

41 كويبرس في نظم سورة المائدة ص 404

42 كويبرس، في نظم القرآن، ترجمة عدنان المقراني وطارق منزو. (بيروت: دار المشرق 2018) ص 6.

43 المرجع نفسه، ص 5.

أي البنية البلاغية التي تنضوي تحتها تلك الآيات، وهو ما يؤدي إلى عزل الآيات القرآنية عن سياقاتها النصية وتقويلها ما يريد المفسر أن تقوله⁴⁴.

وبوجه عام، فإن السبب الجوهرى لعدم إدراك الوحدة والتماسك في النص القرآني ومقارنته مقارنة علمية وموضوعية مقنعة، من قِبَل الدارسين الغربيين والمسلمين على حد سواء، يرجع بحسب كويبرس إلى الإخفاق في الجواب عن سؤال المنهج في دراسة وحدة النظم القرآني؛ وتكمن طرافة دراسة كويبرس وتميزها من الدراسات السابقة في كونها تقترح منهجًا جديدًا يعتقد كويبرس أنه الأقدر على إبراز وحدة النص القرآني وتماسكه، بل إنه يبشر بميلاد طريقة جديدة في تفسير القرآن الكريم.

4- أهمية تطبيق البلاغة السامية في دراسة وحدة السورة القرآنية

يؤسس كويبرس أهمية تطبيق البلاغة السامية في دراسة نظم السورة القرآنية وبنيتها التركيبية على جملة أسباب:

أولها: فهم بنية السورة القرآنية فهما صحيحا ذلك أن مقارنة السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية تقوم على الدراسة الدقيقة لكل آية، بل لكل جملة في كل آية، ووضعها في سياقها النصي، وبنيتها التركيبية، بعيدا عن منطق القراء الذرية، والتأويل التجزيئي المتعسف، الذي يقتطع الآيات القرآنية من سياقاتها النصية، لتوافق آراء هذا المفسر أو ذاك⁴⁵.

ثانيها: تصحيح الفرضية الراضجة في الدراسات الغربية حول تفكك القرآن وافتقاده الوحدة النصية والانسجام⁴⁶ ذلك أن كثيرا من الدارسين الغربيين القائلين بتفكك السورة القرآنية، لم يدركوا - كما يقول كويبرس- أن نظم السورة القرآنية لا يقوم على طريقة الترتيب الخطي المعروفة في البلاغة اليونانية (مقدمة، وعرض، وخاتمة) بل يقوم على مبدأ التناظر.

ثالثها: أن مقارنة بنية السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية يقوم على أسس منهجية وإجرائية واضحة المعالم والأسس وقابلة للتطبيق العملي، بعكس مناهج مقارنة السورة من منظور البلاغة الموروثية عن التراث الأدبي العربي والغربي معا⁴⁷.

المبحث الثاني: الأشكال الثلاثة لبنية السورة القرآنية وأسس الكشف عنها

يذهب كويبرس إلى أن بنية السورة القرآنية - وربما القرآن عموما- قائمة على أشكال ثلاثة من التناظر سماها «صور النظم»، وشدد على أن بنية السورة لا تخرج عن واحد منها، وأن وصف الدارسين الغربيين بنية السورة بالتفكك وعدم الانسجام يعود بالأساس إلى عدم فهم هذه الصور التي لا تحكم بنية نصوص القرآن الكريم فقط، بل تحكم كذلك بنية النصوص السامية عموماً.

44 المرجع نفسه، ص 6.

45 كويبرس، في نظم القرآن ص 7، وفي نظم سورة المائدة ص 493.

46 كويبرس، في نظم القرآن ص 8.

47 المرجع نفسه، ص 5.

فما أشكال النظم الثلاثة التي تقوم عليها بنية السورة القرآنية وما الخطوات الإجرائية في الكشف

عنها؟

1- الأشكال الثلاثة لنظم السورة القرآنية

تقوم بنية السورة القرآنية من وجهة نظر كويبرس على أشكال ثلاثة هي:

الشكل الأول: البنية المتوازية (Parallel Construction)

المقصود بالبنية المتوازية أو (النظم المتوازي): أن يتكرر ظهور عناصر وحدة ما أو وحدتين أو ثلاث، متناسبة فيما بينها، بالترتيب نفسه: أ ب / أ ب / أ ب ج / أ ب ج ' .

وقد تكون العلاقة بين هذه العناصر هي: الترادف، أو التقابل، أو التضاد، أو الإثبات، أو النفي، وقد تكون العناصر الثانية مكملة للأولى من خلال علاقة شرح، أو بيان نتيجة، أو استثناء، أو شرط، أو يكون بينهما ارتباط سببي، أو تاريخي، وغير ذلك من أنواع العلاقة، وكذلك الأمر في العلاقة بين عناصر البنية المعكوسة والبنية المحورية⁴⁸.

من الأمثلة على البنية المتوازية بنية سورة البينة:

(1) لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ

(2) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (3) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ

.....

(4) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ

(5) وَمَا أَمَرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ

(6) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ

(7) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ

.....

(8) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ

تتألف سورة البينة، من مقطع مركب من جزأين متوازيين، يتألف كل واحد منهما من قسمين اثنين. وتظهر عناصر التوازي في تكرار عبارة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ في بداية كل جزء وكلمة ﴿ذَلِكَ﴾ في نهاية الجزأين، كما يتوازي وصف دين القيمة في الآية الخامسة مع وصف الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآية الأخيرة⁴⁹.

48 المرجع نفسه، ص 83-85.

49 كويبرس في نظم القرآن، ترجمة عدنان المقراني وطارق منزو. (بيروت: دار المشرق 2018) ص 65.

الشكل الثاني: البنية المعكوسة (Mirror Composition)

البنية المعكوسة (أو البنية المرآتية) تتكون من أربعة عناصر، أو أكثر، مرتبة في منحدرين متناظرين عكسياً: أ ب / ب' أ' مثل الآية الرابعة من سورة المطففين:

(4) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ

: أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ

:: (5) لَيَوْمٍ عَظِيمٍ

:: (6) يَوْمٍ

: يَتَّقُونَ

- النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ⁵⁰.

إذ يتقابل عكسياً لفظ ﴿أُولَئِكَ﴾ مع لفظ النَّاسُ ولفظ ﴿مَبْعُوثُونَ﴾ مع لفظ ﴿يَتَّقُونَ﴾، إضافة إلى التوازي بين كلمتي ﴿لَيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وكلمة ﴿يَوْمٍ﴾.

الشكل الثالث: البنية المحورية (Ring Composition)

يقصد بالبنية المحورية (أو النظم المحوري) أن يقوم العنصر الذي يقع في وسط البنية أو الوحدة النصية، بقطع العناصر المؤطرة له، فتظهر وحدات النص على شكل بناء محوري حول المركز، ومن الممكن أن يكون هذا العنصر الذي يقع وسط البنية منتمياً إلى أي من مستويات التنظيم النصي السابقة أو اللاحقة له⁵¹.

وقد لاحظ كويبرس أن هذه البنية هي الأوسع انتشاراً في النص القرآني، حيث توجد على مستويات النص المختلفة كلها من الفرع إلى السلسلة، ومن الأمثلة عليها سورة قريش:

(1) - لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ

(2) - إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ

(3) + فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ

(4) = [أ] الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ

= [ب] وَأَمَّنَهُمْ مِنْ حَوْفٍ

تحتوي سورة قريش على ثلاثة أفرع مبنية بناءً محورياً⁵²، في الفرع الأول (1-2) تذكير لقريش بنعمة الله عليهم برحلة الشتاء والصيف، وفي الفرع الأخير (4) تكميل لما ورد في الأول، إذ يذكر بنعمة الطعام والأمن، وفي الوسط (3) يُدعون إلى عبادة الله لأن شكر النعمة التي هم فيها يقتضي ذلك. وما يميز هذه الأشكال (أو البنى البلاغية) التي تقوم عليها البلاغة السامية، كما يقول كويبرس، أنها توجد في

50 المرجع نفسه، ص 104؛ وكويبرس، في نظم سورة المائدة، ص 41.

51 كويبرس، في نظم القرآن، ص 23.

52 المرجع نفسه، ص 114.

جميع المستويات المختلفة للنص، بدءاً من الفرع حتى السلسلة⁵³. وإذا كانت بنية السورة القرآنية كما يرى كويبرس قائمة على أشكال ثلاثة من التناظر، هي: التوازي والتوازي المعكوس، والبنية المركزية، فما هي الضوابط المنهجية في الكشف عنها؟

2- الخطوات المنهجية في الكشف عن الأشكال الثلاثة لبنية السورة القرآنية

يتميز عمل كويبرس من أعمال السابقين له في دراسة وحدة السورة القرآنية، بميزتين أساسيتين: الأولى أنه حدد ثلاثة أشكال من النظم لا تخرج السورة، في اعتقاده، عن واحدة منها وهي: البنية المتوازية، والبنية المحورية، والبنية المعكوسة. والثانية أنه حدد خطوات منهجية للكشف عن هذه الأشكال النظمية الثلاثة، وتمثل هذه الخطوات في:

الخطوة الأولى: فهم النص القرآني

الأساس الأول للكشف عن مظاهر وحدة السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية، هو فهم ألفاظها، وتحصيل معانيها من جهة اللغة بمستوياتها المختلفة (النحو، والتصريف، والاشتقاق).

الخطوة الثانية: إعادة كتابة نص السورة.

في هذه الخطوة تتم إعادة كتابة نص السورة، بطريقة تظهر مؤشرات التماسك النصي والانسجام الدلالي بين أجزائها.

وإدراكاً من كويبرس لما قد تثيره طريقة إعادة كتابة نص السورة على هيئة الشعر، فقد نبه إلى أن «إعادة كتابة النص هذه ليست سوى مرحلة مؤقتة في إطار عمل تحليلي لا يسعى سوى إلى فهم أفضل للنص القرآني في صورته المعتادة»⁵⁴.

على سبيل المثال تكتب الآيتان (9-10) من سورة الشمس - كما سيأتي على الهيئة التالية:

(9) - [أ] قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا

(10) - [ب] وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا

ونلاحظ هنا استخدام بعض الرموز مثل: الخط الفاصل - في هذه الآيات، وقد تستخدم بالإضافة

إليها رموز أخرى مثل: علامة التساوي = وعلامة الزائد +، والنقطتان: وغيرها.

والهدف من هذه الخطوة هو اكتشاف العناصر اللغوية المتشابهة، وتحديد المؤشرات النظمية التي تربط بينها. في الآيتين السابقتين على سبيل المثال استخدم الخط الفاصل- للتنبيه على التقابل بين عناصر الآية (9) والآية (10) إذ يرد حرف قد في بداية كل منهما وتقابل كلمة أفلح في الأولى، كلمة خاب في الثانية، وكلمة زكاهها تضاد كلمة دسهاها.

53 كويبرس، في نظم سورة المائدة، ص 25.

54 المرجع نفسه، ص 7.

الخطوة الثالثة: التدرج في دراسة الوحدات النصية المختلفة للسورة

انتقد ميشيل كويرس المنهج الذي سلكه السابقون في تقسيم بنية القرآن من خلال مسألتين: الأولى أنهم يبدؤون في تقسيم السورة انطلاقاً من موضوعاتها ومقاصدها قبل القيام بخطوة تحليل المستويات النصية للسورة انطلاقاً من الجزء إلى الكل، أو من المفردة إلى البنية العامة⁵⁵. وأما المسألة الثانية فهي أنهم لا يتخذون من «المؤشرات النظمية» الموجودة في نص السورة دليلاً لهم في عملية التقسيم، بينما يذهب كويرس إلى أن الاعتماد على المؤشرات النظمية هو الذي يساعد في تقسيم نص السورة، ويبرز أن نصها ليس مقسماً حسب موضوعات أو مقاصد يمكن أن يختلف بشأنها، ولكنه ذو بنية شديدة التعقيد، يبدأ من المفردات، التي تشكل جملاً ترتبط فيما بينها بـ صور نظميه، تشكل مستوى أول للنص، ثم ترتبط بعناصر لغوية جديدة، وبنظمها تكون قد وصلنا إلى المستوى الثاني، وهكذا دواليك حتى نصل إلى السورة بأكملها، والكتاب بدفته وهو ما يشبه البنيان الذي يبدأ من اللبنة وينتهي بالعمارة⁵⁶.

ومن هنا يشدد كويرس على أن تقسيم نص السورة القرآنية استناداً إلى موضوعاتها ومقاصدها ليس هو المنهج الأجدي في الكشف عن وحدة بنيتها، وأن السبيل الأمثل للكشف عن وحدة السورة القرآنية يكمن في التدرج في تجزئتها إلى عدد من المستويات النصية تبدأ من المفردة وتنتهي بالسورة كلها، على النحو الآتي:

أ. المستويات النصية الدنيا

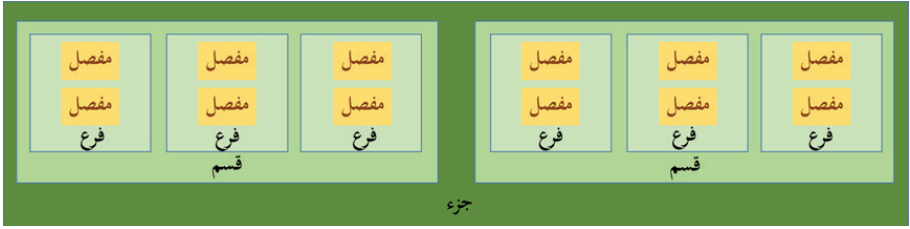
- العنصر أو المفردة (Lexeme): هو الوحدة اللغوية الصغرى؛ فالبسمة مثلاً تحتوي أربعة عناصر: بسم/ الله/ الرحمن/ الرحيم.
- المفصل (Member): هو المستوى الأول في التنظيم البلاغي، وهو قريب من تعريف الجملة في اللغة العربية، وغالباً ما يوافق المفصل وحدة دلالية، إمّا جملة فعلية قصيرة، وإما جملة اسمية من دون فعل، وقد نجد مفاصل لا تحتوي إلا على عنصر واحد من دون فعل.
- الفرع (Segment): يتضمن الفرع عادة مفصلاً واحداً، أو اثنين، أو ثلاثة، (ولا يزيد على ذلك).
- القسم (Piece): كما يتكون الفرع من مفصلين أو ثلاثة، يحتوي القسم على فرع واحد أو اثنين أو ثلاثة أفرع (ولا يزيد على ذلك مطلقاً).
- الجزء (Part): يتضمن الجزء قسمًا واحدًا أو اثنين أو ثلاثة أقسام (ولا يزيد على ذلك)⁵⁷.

55 كويرس، في نظم القرآن، ص 25.

56 المرجع نفسه، ص 36.

57 كويرس، في نظم القرآن، ص 38-62.

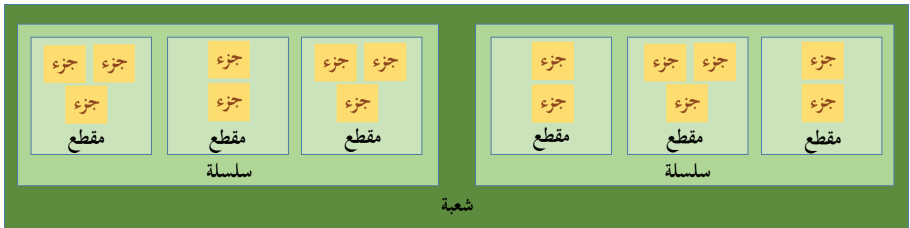
ويوضح الشكل أدناه التداخل بين المستويات النصية الصغرى:



ب. المستويات النصية العليا

ما يميز هذه المستويات ويجعلها في مرتبة أعلى من التي قبلها أنها مستويات مستقلة، شكلاً ومضموناً، يمكن أن تُقرأ مستقلة عما قبلها وما بعدها، بخلاف المستويات الدنيا التي تكون جزءاً لا يمكن اقتطاعه عما قبله وما بعده. وثمة فرق آخر بين المستويات النصية الدنيا والعليا، وهو أن الأخيرة يمكن أن تتألف من أكثر من ثلاثة من المستويات التي تأتي قبلها، بعكس الفروع والأقسام والأجزاء التي لا تتألف من أكثر من ثلاثة مستويات مما قبلها⁵⁸.

- المقطع (Passage): يتألف المقطع من جزء واحد أو أكثر، ومع أن أغلب قصار السور في القرآن لا تتألف سوى من قسم أو جزء، فإنه يمكن اعتبارها مقطوعاً بحجم القسم أو الجزء، سبيل المثال تتكون سورة الفاتحة من مقطوع بحجم جزء مكون من ثلاثة أقسام.
 - السلسلة (Sequence): هي المستوى الأعلى من المقطع، وتتألف من مقطوع واحد أو أكثر، على سبيل المثال تؤلف الآيات من 12-20 من سورة المائدة سلسلة مبنية بناءً محورياً.
 - الشعبة (Section): هي المستوى الأعلى من السلسلة، وتتألف من سلسلة واحدة أو أكثر.
 - الكتاب (Book): يتألف من شعبة أو عدد من الشعب⁵⁹، والكتاب هو المستوى الأعلى وهو بالنسبة إلى تطبيق هذا المنهج على القرآن يعني القرآن كله، ولكن ميشيل كويبرس يرى أنه لم يحن الوقت بعد لمعرفة نظام القرآن كله، وأن غاية ما توصل إليه البحث هو السور الطوال من القرآن⁶⁰.
- ويوضح الشكل أدناه تداخل المستويات النصية العليا.



58 المرجع نفسه، ص 63.

59 المرجع نفسه، ص 63-79.

60 المرجع نفسه، ص 79.

الخطوة الرابعة: الاعتماد على مؤشرات النظم في تجزئة نص السورة.

يشدد كويبرس على الأهمية البالغة لمؤشرات النظم، أو علامات تقسيم النص القرآني الموجودة في النص القرآني نفسه، وضرورة الاستناد إليها أثناء العمل على تجزئته.

وتتعدد مؤشرات النظم في السورة القرآنية فمنها ما يتعلق بالنواحي الدلالية كالتطابق والتضاد والالتفات، على مستوى المفردات أو الجمل أو على مستوى مجمل الخطاب، ومنها ما يتعلق بالناحية الشكلية مثل: التشابه اللفظي، والتكرار، والسجع، والجناس بنوعيه: التام والناقص، والتشابه الإملائي وغيرها، وتختلف مواقع هذه المؤشرات في النص فقد تكون في بدايته، أو نهايته، أو في وسطه، ويعد الانتباه لها أساسيا في تحديد البنية النصية الأقرب إلى الصواب⁶¹.

الخطوة الخامسة: استخدام قواعد البلاغة السامية

بالإضافة إلى استخدام مؤشرات النظم الموضوعية والشكلية، يعتمد كويبرس في تقسيم نص السورة ومحاولة الكشف عن تماسك بنيتها على قواعد تعود إلى عالم الكتاب المقدس نيلس لوند (Nils Wilhelm Lund) حيث استخدمها في الكشف عن بنية النصوص المقدسة، وقد اختار كويبرس منها خمس قواعد، يرى أنها الأكثر ملائمة للنص القرآني وهي:

1. القاعدة الأولى: أن وسط البنية النصية يكون دائما نقطة تحول (turning -point).
2. القاعدة الثانية: أنه في الغالب يتم الانتقال في المركز من موضوع إلى موضوع آخر يقابله، ثم يعود النص إلى الموضوع الأول.
3. القاعدة الثالثة: أن بعض المعاني، أو الألفاظ تظهر في أطراف الوحدة النصية، وعند وسطها، ولا تظهر في مكان آخر.

1. القاعدة الرابعة: تسمى «قاعدة الانتقال من المركز إلى الأطراف» وتعني ظهور موضوع معين في محور بنية نصية، وفي أطراف بنية نصية أخرى موازية لها لمناسبة بينهما.
- القاعدة الخامسة: أن بعض الكلمات أو الجمل دائما ما تأتي لتخلق الوحدة النصية كما هو الحال بالنسبة لأسماء الله تعالى الحسنى في القرآن الكريم⁶².

الخطوة السادسة: وصف النص

من الأسس المنهجية المعتمدة في الكشف عن وحدة السورة من منظور البلاغة السامية وصف العلاقات النصية التي تربط بين أجزاء السورة المختلفة وتحديد بنيتها النظمية بحيث يتلاءم الوصف مع شكل النص فيشرح ما فيه من أنواع التناظر والتوازي⁶³.

61 كويبرس، في نظم القرآن، ص 125-141.

62 المرجع نفسه، ص 147-160.

63 رولان مينيه [وآخرون] طريقة التحليل البلاغي والتفسير ص 127

الخطوة السابعة: توظيف سياق التناص

مع أن الميزة الأهم لمقاربة وحدة السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية، تتجلى في ملاحظة مؤشرات التماسك وتوظيفها في فهم السياق النصي المباشر، وفي الكشف عن وحدة السورة، فإن كويبرس لا يكتفي بدراسة السياق النصي في السورة فحسب، إنما يضيف إليه سياق التناص.

وللتناص كما يطبقه كويبرس نوعان: الأول سياق التناص الخارجي: والمقصود به سياق علاقة القرآن الكريم بالتراث الكتابي، وهو قريب من توظيف الإسرائيليات في التفسير عند بعض مفسري القرآن الكريم، وسياق التناص الداخلي أو «التفسير بالتناظر النصي»⁶⁴ والمقصود به المقارنة بين النص المباشر للآية أو الآيات، والنصوص الأخرى المشابهة لها سواء داخل السورة نفسها، أو في غيرها من سور القرآن الكريم، وهو قريب من تفسير القرآن بالقرآن، وتكمن أهمية هذا السياق في كونه يوفر فهماً أعمق وأشمل من الفهم الذي يؤخذ من نصوص الآيات معزولة عن السياق المشابه لها في مجمل القرآن الكريم.

الخطوة الثامنة: الكشف عن صور النظم

هذه الخطوات التي سبق الحديث عنها تعد وسائل في طريق الكشف عن المبدأ الذي تقوم عليه وحدة السورة وهو إما النظم المحوري أو المعكوس أو المتوازي.

الخطوة السابعة: تفسير النص

تفسير النص بعد تحديد بنيته وسياقاته النصية والمعنوية القريبة والبعيدة هو الهدف النهائي لمقاربة وحدة السورة القرآنية وتماسكها من منظور البلاغة السامية، وما الخطوات المنهجية إلا وسائل تحاول تقليل التدخل الشخصي في توجيه المعنى، وتقديم النص بحسب ما يفهم من لغته، والسياق الذي ينتمي إليه، والمعاني التي يبثها في المخاطبين به⁶⁵. وتجدد الإشارة إلى أن هذه الخطوات المنهجية متداخلة فيما بينها، وقد لا تبدو أثناء التطبيق بهذا الوضوح والترتيب.

المبحث الرابع: البلاغة السامية: تطبيقاً على سورة الشمس

استعرضنا في المباحث السابقة مفهوم البلاغة السامية، وأهمية والخطوات المنهجية في تطبيقها على القرآن الكريم؛ بهدف الكشف عن أحكامه وتماسك بنائه النصي والدلالي؛ أما هذا المبحث فنخصه بتقديم نموذج تطبيقي لمقاربة بنية السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية انطلاقاً من سورة الشمس، وقد اخترنا هذه السورة لأنها -في اعتقادنا- تفي بغرض تقديم معظم المبادئ التي تقوم عليها مقاربة وحدة السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية.

64 كويبرس في نظم سورة المائدة، ص 26.

65 رولان مينييه [وأخرون] طريقة التحليل البلاغي والتفسير ص 128

لقد اتسمت أغلب الدراسات التراثية التي دارت حول نظم القرآن، والمناسبة التركيبية بين أجزائه، بمفارقة لافتة تمثلت في كون كثير منها لا يقدم تطبيقات عملية موسعة، وذلك لأن أصحابها ربما اعتبروا أن تطبيق هذه النظريات يتصل بعمل المفسر، ومن هنا وجدنا هذه الدراسات غالباً ما تكتفي بإيراد بعض الأمثلة التي تشرح القاعدة من دون تطبيق عملي موسع على القرآن الكريم. وما يميز مقاربة بنية السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية عند كويرس هو أنه استطاع أن يمزج بين التنظير والتطبيق، فقدم نماذج تطبيقية عديدة لهذه المقاربة في القرآن الكريم. سنقوم بعرض الخطوات الإجرائية للبلاغة السامية من خلال دراسة بنية سورة الشمس، وتحديد المؤشرات النصية التي تدل على تماسكها وانسجام بنيتها على النحو الآتي:

■ النص

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَغَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (15)

■ النظم:

تنقسم سورة الشمس إلى ثلاث وحدات دلالية مرتبة على هيئة النظم المحوري (أ/ب/أ)⁶⁶. فالأولى (الآيات: 1-8) أقسام بآيات الله في الآفاق، وفي النفس البشرية. والثانية (الآيات: 9-10) الموضوع المقسم عليه؛ وهو فلاح من زكى نفسه بالتقوى، وخسران من دساها بالفجور. و أما الثالثة (الآيات: 11-15) فتقدم ثمود قوم صالح مثالا تاريخيا على تدمية النفس بالطغيان والفجور. سنقوم بالتدرج العملي في تحليل هذه الوحدات الدلالية الثلاثة، ونبين مؤشرات النظم التي تجمعها- ابتداءً من المستويات الدنيا(المفصل، الفرع، الجزء)، وصولاً إلى المستويات العليا (المقطع وهو هنا سورة الشمس برمتها) - حسب الخطوات الإجرائية المتبعة في مقاربة بنية السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية عند كويرس.

أ- الوحدة الأولى (1-8)

تحتوي الوحدة الأولى من هذه السورة الكريمة على قسمين: (1-4 و 5-8)

1- مستوى المفصلات

تتمثل أولى مراحل دراسة وحدة السورة في تقسيم نصوصها إلى مفاصل. وغالبا ما يوافق المفصل، جملة فعلية أو اسمية.

66 See Michel Cuypers, *A Qur'anic Apocalypse: A Reading of the Thirty-three Last Surahs of the Qur'an*, Jerry Ryan (trans.) (Bristol, CT: Lockwood Press, 2018),145

حسب الطريقة المتبعة في التحليل البلاغي لبنية السورة من منظور البلاغية السامية يعرض كل مفصل أو كل جملة في سطر. وعندما تحتوي الآية الواحدة على أكثر من مفصل واحد يسبق كل مفصل حرف [أ] أو [ب] أو [ج] وتكتب أرقام الآيات في بداية السطر⁶⁷. على سبيل المثال تكتب الوحدة الأولى من هذه السورة على هيئة مفاصل على النحو الآتي:

- (1) - وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا
- (2) - وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا
- (3) = وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا
- (4) = وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا
- (5) + وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا
- (6) + وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا
- (7) : وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا
- (8) : فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا

تسهّم إعادة الكتابة هذه في الوصول إلى المستوى الأول من التحليل البلاغي، وهو مستوى المفاصل، وفي رصد وتحديد مؤشرات الترابط التي تتمثل في علاقات التطابق والتضاد والترادف وغيرها من العلاقات، على سبيل المثال نلاحظ هنا التقابل بين الشمس والقمر، والنهار والليل، والسماء والأرض، والتقوى والفجور، وهذا التقابل أو الثنائية سمة من سمات البلاغة السامية، إضافة إلى ذلك يسهم تشابه الفواصل وانتهائها كلها بحرف الهاء في تمثيل الأواصر النصية بين الآيات المذكورة.

2- مستوى الفروع

التبويغرافيا

يتضمن الفرع عادة مفصلاً واحداً، أو اثنين، أو ثلاثة. ويكتب كل مفصل على سطر مسبوق بعلامة تبويغرافية مثل /+/-/=/* ويقتصر دور هذه العلامات على الإشارة إلى المناسبات بين المفاصل. وترص بدايات المفاصل رأسياً، وحتى نميز الفرع عن بقية النص، يجب جعل البياض سابقاً ولاحقاً له ويهدف استخدام وسائل الطباعة في مختلف مستويات النص إلى جعل الشكل الطباعي يخدم البنية البلاغية للنص.

بعد المستوى الأول المتمثل في كتابة المفاصل، يبدأ المستوى الثاني وهو مستوى الفروع، على سبيل المثال نلاحظ أن القسم الأول من الوحدة الأولى من هذه السورة مكون من فرعين ثنائيي المفاصل، الفرع الأول (2-1) والثاني (3-4) يتقابل المقسم به في كل منهما ويربط حرف إذا بينهما⁶⁸.

67 حول طريقة كتابة مستويات النص المختلفة (المفاصل والفروع والأقسام والأجزاء والمقاطع إلخ..). انظر: في نظم القرآن ص 176-192.

68 Cuypers, A Qur'anic Apocalypse: A Reading of the Thirty-three Last Surahs of the Qur'an, 145.

- (1) - [أ] وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا
 (2) - [ب] وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا
 (3) = [ج] وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا
 (4) = [د] وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا

3- مستوى الأقسام

تشكل الآيات (5-8) القسم الثاني من هذه الوحدة.

التبوغرافيا

وللإشارة إلى القسم يسبق خطُّ علوي المفصل الطرفي الأول ويلى خطُّ سفلي المفصل الطرفي الأخير، بينما يفصل بياضُ الأفرع المكوّنة للقسم.

- (5) + [أ] وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا
 (6) + [ب] وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا
 (7) * [ج] وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا
 (8) * [د] فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا

تقوم بينة الفرع الأول (5-6) على الثنائية من خلال المقابلة بين السماء والارض، وتتمثل الصلة بين الفرع الثاني وما قبله في لفظ وما، الذي يتكرر في الآيات: 5-7.

ويختلف القسم في الفرع الأخير عن أقسام السورة الماضية إذ كانت كلها مرتبطة بالطبيعة أما في الآية السابعة فجاء القسم بتسوية النفس البشرية⁶⁹، ومنحها القدرة على التمييز بين التقوى والفجور.

4- مستوى الأجزاء

بناء على التحليل النصي السابق يتضح أن الوحدة الأولى من سورة الشمس مكونة من قسمين على النحو الآتي:

التبوغرافيا

يتم تأطير الجزء بخطّين (علوي وسفلي) على غرار القسم. ويفصل خطُّ متقطع بين الأقسام.

- (1) - [أ] وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا
 (2) - [ب] وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا
 (3) = [ج] وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا
 (4) = [د] وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا

- (5) + [أ] وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا
 (6) + [ب] وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا

- (7) * [ج] وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا
 (8) * [د] فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا

ب- الوحدة الثانية (9-10)

- (9) - [أ] قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا
 (10) - [ب] وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا

هاتان الآيتان هما محور السورة المقسم عليه بالأقسام السابقة، وتقوم العلاقة بين مفصليه على التقابل بين أفلح وخاب وزكى ودسى، ومحور النص - من منظور البلاغة السامية- هو المفتاح لتأويل مجمل النص الذي يحتل مركزه. وغالباً ما يرد محور النص في صيغة سؤال أو حكم أو شاهد أو مثل يدعو إلى التفكير والتأمل، أو لتقرير مبدأ أخلاقي كما هو الحال في محور هذه السورة⁷⁰، الذي يربط الفوز والفلاح بالتركية، والخيبة والخسران بتدسية النفس بالآثام والمعاصي.

ج- الوحدة الثالثة (11-15)

تحتوى هذه الوحدة على جزأين: الأول منهما مرتب على هيئة النظم المحوري (أ.ب.أ') يتحدث عن تكذيب ثمود لرسولهم، وانتداب أشقاهم لعقر الناقة المعجزة، والثاني عن عقاب الله لهم بما ارتكبوه من الطغيان وما اقترفوه من الآثام.

$$(11) = \text{كذَّبتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا}$$

$$(12) = \text{إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}$$

$$(13) + \text{[أ] فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ}$$

$$+ \text{[ب] نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا}$$

$$(14) \text{ [أ] - فَكَذَّبُوهُ}$$

$$\text{[ب] - فَعَقَرُوهَا}$$

$$\text{[ج] فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ}$$

$$\text{[د] فَسَوَّاهَا}$$

$$(15) \text{ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا}$$

تتمثل المؤشرات النصية التي تصل بين أجزاء هذه الوحدة في لفظ التكذيب الذي يرد في الفرع الأول والثالث (11 و14أ).

وفي وسط البنية (13) تأتي الإشارة إلى تحذير صالح لقومه من التعرض بسوء لناقة الله أو منعها من شربها في يومها.

ويصل لفظ الجلالة (الله) الذي يتكرر في الجزء الأول من هذه الوحدة (13أ وب)، ولفظ ربهم في الجزء الثاني (14ج) بين جزأي الوحدة الثاني والثالث؛ ويعرف هذا النوع من المؤشرات النصية بقاعدة الانتقال من المركز إلى الأطراف وتعني ظهور موضوع معين في محور بنية نصية، وفي أطراف بنية نصية أخرى موازية لها لمناسبة بينهما وهي القاعدة الرابعة من قواعد نيلس لوند التي اعتمدها كويبرس في رصد مؤشرات التماسك في بنية النص القرآني.⁷¹

■ التناص:

في هذه السورة على سبيل المثال يرى كويبرس أن قصة ثمود الواردة في الآيات: (11-15) تحيل إلى الآيات (23-31) من سورة القمر التي يرد فيها مزيد تفصيل لقصة صالح مع قومه، وعقر أشقاهم الناقة وإهلاك الله لهم⁷²، والآيات التي يشير إليها كويبرس هي قوله تعالى:

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّدْرِ (23) فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِدَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (24) أَلَلْقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ (25) سَيَعْلَمُونَ عَدَا مِنْ الكَذَّابِ الْأَشْرُ (26) إِنَّا مَرْسَلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌ (28) فَتَادُوا صَاحِبِهِمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29) فَكَيفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرِ (30) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (31).

5- مستوى المقاطع

التبوغرافيا

على مستوى المقطع تُحاط الأجزاء بإطار للإشارة إلى أن المقطع يمثل مستوى أعلى، مستوى التركيبات التي تكون كلاً مستقلاً من المنظورين الشكلي والدلالي على حدٍ سواء. يمثل هذا المستوى هنا سورة الشمس كاملة فهي بمنزلة مقطع مكون من ثلاثة أجزاء كما سيتضح في النقطة الموالية.

د- نظم سورة الشمس كاملة والروابط بين أجزائها:

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (15)

بعد الانتهاء من دراسة العلاقات بين الوحدات النصية المختلفة التي تكون هذه السورة الكريمة، نصل إلى مستوى العلاقات النصية التي تربط بين أجزائها المختلفة.

71 See Cuypers, A Qur'anic Apocalypse, 145.

72 Ibid., 145

تتشكل سورة الشمس كما قدمنا من مقطع من ثلاثة أجزاء مرتب على هيئة النظم المحوري (أ/ب/أ'، 8-1، 9-10، و11-15).

من ناحية المؤشرات النصية، تصل كلمة (سَوَاهَا) بين الجزء الأول والثالث من هذه السورة؛ في الآية (7) تعني كلمة سواها: خلق فيها القدرة على التمييز بين الخير والشر، وبين الفجور والتقوى، وفي الآية (14) تعني سواها أهلكتها ودمرها.

وتلخص الآيتان (9) و (10) اللتان تقعان في القلب من هذه السورة رسالتها الجوهرية المتمثلة في ربط الفلاح والصلاح بتزكية النفس، والفساد والفجور بتدسيتهما.

أما الجزء الثالث فيقدم تكذيب ثمود لرسولهم وطغيانهم، كنموذجًا تاريخيًا للفجور وتدسية النفس، الواردين في محور السورة⁷³.

وربما تجدر الإشارة في نهاية تحليل نظم سورة الشمس من منظور البلاغة السامية إلى بعض الملاحظات المهمة:

الملاحظة الأولى: أن القيمة الأساسية لمقاربة بنية السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية تكمن في تركيز هذه المقاربة على رصد مظاهر التماسك والاتساق النصي والانسجام الدلالي بين أجزاء السورة القرآنية، كل ذلك من أجل غرض وحيد هو فهم البنية التركيبية التي تحكم نظام أجزاءها النصية المختلفة. **الملاحظة الثانية:** أن طريقة العمل في التحليل النصي المتبعة في هذه المقاربة تسهم بشكل ملحوظ في «التدبر البصري للقرآن الكريم»، وتظهر جانبًا من جمال الشكل البنائي للقرآن الكريم، وتؤكد بطريقة علمية ما هو راسخ لدى المسلمين من إحكام نظم القرآن الكريم، وتماسك بنائه على المستويين النصي والدلالي.

الملاحظة الثالثة: أن هذه المقاربة تدحض الدعاوى الاستشراقية التي تصف بنية السورة القرآنية بالتفكك وافتقاد الوحدة والانسجام، فقد ذهب على سبيل المثال ريتشارد بيل - وهو من المستشرقين الذين يقولون بافتقاد النص القرآني للوحدة والانسجام ومن الذين عمدوا إعادة ترتيبه- إلى أن سورة الشمس مؤلفة من جزأين: الآيات (1- 10) والآيات (11-15) وأنه لا يوجد أي ارتباط نحوي وموضوعي بين هذين الجزأين وإنما تم وضعهما جنبًا إلى جنب رعاية للقافية فحسب⁷⁴.

أما مقاربة بنية هذه السورة من منظور البلاغة السامية فتفند ما ذهب إليه بيل وتؤكد - كما يقول كويبرس - متانة الارتباط النصي والموضوعي بين أجزاء هذه السورة المختلفة⁷⁵.

ورغم أن مقاربة القرآن من منظور البلاغة السامية عند كويبرس تنطوي على قدر كبير من الدرس المنهجي لبنية القرآن الكريم، وتكشف جوانب من إحكام نظمه وحسن ترتيبه، لكنها تنطوي من جهة أخرى على أخطاء معرفية ومنهجية، بل لا يخلو أساس من الأسس النظرية والمنهجية التي تقوم عليها هذه

73 Ibid.,147

74 Blachère, *Le Coran*, I.17, see Cuypers, A Qur'anic Apocalypse: A Reading of the Thirty-three Last Surahs of the Qur'an, 144.

75 Ibid.,144.

المقاربة من بعض الملاحظات والاستدراكات التي يتعين أخذها في الاعتبار من أجل استنبات هذا المنهج في الدراسات القرآنية استنباتا حسنا⁷⁶.

خاتمة البحث:

نخلص بعون الله وتوفيقه إلى نهاية هذا البحث الذي حاولنا فيه أن نقدم عرضا وصفيا تطبيقيا لمقاربة السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية من خلال جهد ميشيل كويبرس، وقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

أولا: تندرج مقارنة وحدة السورة القرآنية والسعي إلى الكشف عن تماسك بيتها من منظور البلاغة السامية في سياق تطور الاهتمام الغربي بمقاربة بنية القرآن الكريم مقارنة تزامنية (Synchronic Approach) تسعى إلى فهم القرآن في نسخته الحالية، بغض النظر عن مصدره ومآتاه، وتوظف في سبيل ذلك بعض الأدوات المنهجية التي توفرها اللسانيات الحديثة.

ثانيا: امتازت مقارنة بنية السورة من منظور البلاغة السامية عند كويبرس عن غيرها، من المقاربات التي تناولت بنية السورة القرآنية بميزتين أساسيتين: الأولى تطبيق نظرية الأشكال الثلاثة لنظم النصوص السامية المطبقة في الدراسات الكتابية في الكشف عن وحدة السورة القرآنية، والثانية: توظيف مبادئ لسانيات النص وتحليل الخطاب في الكشف عن هذه الأشكال الثلاثة في القرآن الكريم.

ثالثا: يمكن القول من خلال هذا البحث أن مقارنة بنية السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية بآلياتها المنهجية - رغم جوانب قصورها التي لم نتعرض لها في هذا البحث- تسهم إسهاما واضحا في الكشف عن إحكام نظم السورة القرآنية وانسجام موضوعاتها، وتقدم إضافة متميزة في الدرس البنائي للقرآن الكريم لا تفصل بين أجزائه، وکليته.

رابعا: تسهم مقارنة السورة القرآنية من منظور البلاغة السامية في دحض الدعاوى الاستشراقية التي تصف بنية السورة القرآنية بالتفكك وافتقاد الوحدة والانسجام.

خامسا: تُبرز خطوات تطبيق هذا المنهج الشكل الجمالي للقرآن الكريم، وتكشف جانبًا من جمال وتناسق وروعة بناء القرآن الكريم؛ وهو من هذه الناحية لصيق بمباحث إعجاز القرآن الكريم التي عرفها التراث الإسلامي.

76 لم نتعرض في هذا البحث للمآخذ النقدية على هذه المقاربة، وقد أوردنا عددا من المآخذ النقدية عليها في بحث آخر انظر: محمد يسلم المجدو، منهج البلاغة السامية: في تحليل بنية القرآن : دراسة وصفية نقدية، منشور على موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية على الرابط: <https://tafsir.net/uploads/researches/3469> : 5e43d985/655/ 317.pdf ص 78-99.

العربية

- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا [وآخرون] ط4 (دمشق: دار ابن كثير 2017)
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. إعجاز القرآن. تحقيق السيد أحمد صقر. القاهرة: دار المعارف، 1997.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي. تحقيق وتعليق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام. القاهرة: دار المعارف 1976.
- حوى، سعيد. الأساس في التفسير. ط 6. القاهرة: دار السلام، 1424هـ.
- الرافعي، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب. القاهرة: مكتبة الإيمان، 1997.
- الموجود، محمد يسلم. منهج البلاغة السامية: في تحليل بنية القرآن: دراسة وصفية نقدية، المنشور على موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية على الرابط: https://tafsir.net/uploads/researches/34_69/655/5e43d985cb317.pdf
- كويبرس، ميشيل. «نظرة جديدة إلى نظم القرآن». ترجمة يوسف حبيب نقولا حبيب. بحث فُدم ضمن وقائع المؤتمر الدولي الثالث حول «العلوم الإسلامية والعربية وقضايا الإعجاز في القرآن والسنة بين التراث والمعاصرة» المنعقد بكلية دار العلوم بجامعة المنيا بمصر، 3-4/6/2007. في: <http://bit.ly/2svyQJT>
- _____. في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي. ترجمة عمرو عبد العاطي صالح. ط 1. بيروت: دار المشرق، 2016.
- _____. في نظم القرآن. ترجمة عدنان المقراني وطارق منزو. بيروت: دار المشرق 2018.
- كمال ربحي، المعجم الحديث عبري- عربي للمترجم وللطالب الجامعي ط2 (بيروت: دار العلم للملايين 1992)
- مسلم، مصطفى. مباحث في التفسير الموضوعي. دمشق: دار القلم، 2000.
- مير، مستنصر. «السورة وحدة نصية تطور في تفسير القرآن في القرن العشرين». ترجمة حازم محي الدين. مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. 2017/6/28. في: <http://bit.ly/2ZHHalC>
- مينيه، رولان [وآخرون]. طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدس ومن الحديث النبوي الشريف. ترجمة جرجورة جردان وهنري عويس. بيروت: دار المشرق، 1993.
- مينيه، رولان. التحليل البلاغي طريقة جديدة لإدراك معاني الكتاب المقدس، مجلة المشكاة، جامعة الزيتونة، تونس ع1، 2003
- نولدكه، تيودر. تاريخ القرآن. تعديل فريديريش شفالي. ترجمة جورج تامر. بيروت: مؤسسة كونراد أديناو، 2004.

- Matthias Zahniser, 'Major Transitions and Thematic Borders in Two Long Sūras: Al-Baqara and al-Nisa', in: Issa Boullata, Issa. *Literary Structures of Religious Meaning in the Qur'ān*. Richmond: Curzon Press, 2000.
- Cuypers, Michel. *A Qur'anic Apocalypse: A Reading of the Thirty-three Last Surahs of the Qur'an*. Jerry Ryan (trans.). Bristol, CT: Lockwood Press, 2018.
- De Caprona, Pierre Crapon. *Le Coran, aux sources de la parole oraculaire: Structures rythmiques des sourates mecquoises*. Paris: Publications Orientalistes de France, 1981.
- Encyclopedia of the Qur'an*. Jane McAuliffe (ed.). Leiden: Brill, 2001–2007.
- Farrin, Raymond. *Structure and Qur'anic Interpretation: A Study of Symmetry and Coherence in Islam's Holy Text*. Ashland, OR: White Cloud Press, 2014.
- Islahi, Amin Ahsan *Tadabbur-i Quran* (Urdu). 8 Volumes. Lahore: Faran Foundation, 1967–1980.
- Michel Cuypers, *A Qur'anic Apocalypse: A Reading of the Thirty-three Last Surahs of the Qur'an*, Jerry Ryan (trans.) (Bristol, CT: Lockwood Press, 2018).
- Robinson, Neal. *Discovering the Qur'an: A Contemporary Approach to a Veiled Text*. London: SCM Press, 1996.